المحاضرة الثانية

العصر : عصر ما قبل الإسلام (العصر الجاهلي)

تحديد العصر:

إنّ عصر ما قبل الإسلام (العصر الجاهلي) لا يشمل كل ما سبق الاسلام من حقب وأزمنة ، بل يشمل فقط الفترة التي سبقت الإسلام بـ (١٥٠) أو (٢٠٠ سنة)، وهذا ما لاحظه الجاحظ بوضوح إذ قال:((أمّا الشعر العربي) فحديث الميلاد صغير السن ، أول من نهج سبيله وسهّل الطريق إليه امرؤ القيس بن حُجر ومهلهل بن ربيعة .. فإذا استظهرنا الشعر وجدنا له – إلى أن جاء الله بالإسلام – خمسين ومائة عام ، وإذا استظهرنا بغاية الاستظهار فمائتي عام)، وهي ملاحظة دقيقة ، لان ما قبل هذا التاريخ في الشعر العربي مجهول ، اذ كان تاريخ العرب الشماليين يشوبه الغموض ، كما ان معلوماتنا عن إمارات الغساسنة في الشام والمناذرة في الحيرة ومملكة كندة في شمالي نجد كانت معلومات محدودة وغير واضحة وقد اتضحت لنا في عصر ما قبل الاسلام الذي يسبق الاسلام بـ (١٥٠) او (٢٠٠ سنة) اذ حمل إلينا العرب كثيرا من الأخبار عن تلك الإمارات وأمرائها الذين كانوا يستولون فيها على الحكم ، كما حملوا إلينا كثيراً من الأخبار عن مدن الحجاز وخاصة مكة بيت الكعبة المقدسة،وكذلك عن القبائل وما كان بينها من أيام وحروب.

ولهذا نحدد العصر الجاهلي (ما قبل الإسلام) بهذه الفترة المحدودة أي عند مائة وخمسين عاما قبل الإسلام وهي الحقبة التي تكاملت للغة العربية منذ أوائلها خصائصها ، وهذا العصر هو الذي ورثنا عنه الشعر

Scanned By Camera Scanner

الجاهلي واللغة الجاهلية والذي تكامل فيه نشوء الخط العربي وتشكله تشكلا تاما.

وما وراء ذلك يمكن تسميته (بالجاهلية الأولى) وهو يخرج عن هذا العصر.

وكلمة (الجاهلية) التي أُطلقت على هذا العصر ليست مُشتقة من الجهل الذي هو ضد العلم ونقيضه ، إنما هي مشتقة من الجهل بمعنى (السفه والغضب والنزق) فهي تقابل كلمة الاسلام التي تدل على الخضوع والطاعة لله (سبحانه وتعالى) وما يطوى فيها من سلوك خلقي كريم. ودارت الكلمة في الذكر الحكيم والحديث النبوي والشعر الجاهلي بهذا المعنى من الحميّة والطيش والغضب، ففي سورة البقرة:((قالوا أتتخذنا هُزواً قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين)) وفي سورة الأعراف:(خُذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين)) وفي سورة الفرقان:((وعبادُ الرحمٰن الذين يمشون على الأرض هَوْناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً)) وفي الحديث النبوي أن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) قال لأبي ذر وقد عاب رجلاً بأمه : (إنك أمرؤ فيك جاهلية) وفي عصر ما قبل الإسلام (العصر الجاهلي) قال الشاعر الجاهلي عمرو بن كلثوم:

ألا لا يجهلن أحدٌ علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

وفسروا المعنى هنا بالسفه : أي لا يسفهن أحد علينا فنعاقبه بما هو أعظم من سفهه.

نفهم من كل ما سبق إن كلمة (جاهلية) استُخدمت من قديم للدلالة على السفه والطيش والحمق وقد أخذت تطلق على العصر القريب من الإسلام

Scanned By Camera Scanner

أَو بعبارة أَدق على العصر السابق له مباشرة وكل ما فيه من وثنية وأخلاق قوامها الحمية والأخذ بالثأر واقتراف ما حرَّمه الدين الحنيف من موبقات ، أي أَنَّ لفظة الجاهلية تطلق على الأمية الدينية أَو الوثنية الجاهلة لأمور العبادة والتوحيد ولا تعني الأمية الحضارية أَو الكتابية ، لان بعض الشعراء في ذلك العصر يعرفون الكتابة ، إذ يشيع عندهم تشبيه الأَطلال ورسوم الديار بالكتابة ونقوشها ، مثل المرقش الاكبر:

الدَّارُ قفرٌ والرسومُ كما رقَّش في ظهر الأَديم قلم

Scanned By Camera Scanner